

خطبة الجمعة - الخطبة ٠٣٧٧ : ١ - أحاديث نبوية تبدأ بكلمة (عليك) ، خ ٢ - كثرة السجود.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٢-٠١-١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وما توفيقي ولا اعتصامي ولا توكلي إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً لرُبوبيّته ، وإرغاماً لمن جحد به وكفر ، وأشهد أن سيّدنا محمّداً صلى الله عليه وسلّم رسول الله سيّد الخلق والبشر ما اتّصلت عين بنظر ، أو سمعت أذن بخبر . اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد ، وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريّته ومن والاه ، ومن تبعه إلى يوم الدّين ، اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم ، ولا تعذبنا فإنك علينا قادر ، والطف بنا فيما جرت به المقادير ، إنك على كلّ شيء قدير ، اللهم علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علّمتنا وزدنا علماً ، وأرنا الحقّ حقاً وارزقنا اتّباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممّن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

النبيّ عليه الصلاة و السلام هو المشرّع في أقواله وأفعاله وإقراره وصفاته :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ في خطب سابقة بيّنت لكم أن النبيّ عليه الصلاة و السلام هو المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ، النبيّ عليه الصلاة و السلام هو المشرّع في أقواله و في أفعاله و في إقراره و في صفاته ، فكلام النبيّ عليه الصلاة و السلام شيء ، و كلام البشر قاطبة شيء آخر ، كلام البشر يعتريه الخطأ و يعتريه الصواب ، كلام البشر فيه الحقّ و فيه الباطل ، البشر ينطقون عن الهوى ، و ينطقون عن حقيقة موضوعية ، فإذا أردت الحقّ الصّرف ، إذا أردت كلاماً لا خطأ فيه ، إذا أردت كلاماً لا علاقة له بمصلحة ، و لا بمأرب ، و لا بحظّ شخصي ، فعليك بحديث رسول الله صلى الله عليه و سلم ، بل عليك ما صحّ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن في أحاديث رسول الهس ما هو ضعيفٌ و ما هو موضوع .
فيا أيها الأخوة الأكارم ؛ في خطبة سابقة تحدّثتُ عن طائفة من أحاديث رسول الله صلى الله عليه و سلم تبدأ بكلمة " إياك " أي احذر ، و في هذه الخطبة محورُ هذه الخطبة طائفةٌ من أحاديث رسول الله صلى الله عليه و سلم تبدأ بكلمة " عليك " إياك أي احذر ، " عليك " أي الزم .

العلم النافع هو الطريق الوحيد إلى الله عز وجل :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ النبي عليه الصلاة و السلام جعله الله عز وجل بأقواله وأفعاله وإقراره وصفاته المخلوق الأول الذي ينبغي أن نأخذ عنه ، إن في كلامه تعليمات خالق الكون ، يقول عليه الصلاة و السلام فيما رواه الحكيم عن ابن عباس :

((عَلَيْكَ بِالْعِلْمِ ؛ فَإِنَّ الْعِلْمَ خَلِيلُ الْمُؤْمِنِ ، وَالْحِلْمَ وَزِيرُهُ ، وَالْعَقْلُ دَلِيلُهُ ، وَالْعَمَلُ قِيمُهُ ، وَالرِّفْقُ أَبُوهُ ، وَاللِّينُ أَخُوهُ ، وَالصَّبْرُ أَمِيرُ جُنُودِهِ))

[أخرجه السيوطي ، والحكيم عن ابن عباس]

لأن العلم هو الطريق الوحيد إلى الله عز وجل ، أيّة حركة تتحركها من دون علمٍ فلا بدّ من أن تقع في إشكال ، أو في مبالغة ، أو في تقصير ، أو في خطأ ، لكنك إذا تحركت في ضوء العلم الذي جاء به النبي عليه الصلاة والسلام فإنك حركتك سوف تكون ناجحة ، ومُجديّة ، ومُنجية ، ومُسعدة ، ولكن العلم الذي ذكره النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث الشريف هو العلم النافع ، فالنبي الكريم استعاذ بالله من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن عين لا تدمع ، ومن أذن لا تسمع ، ومن نفس لا تشبع ، وقد دخل عليه الصلاة والسلام إلى المسجد فرأى رجلاً تحلق الناس حوله ، قال عليه الصلاة والسلام : " من هذا ؟ قالوا : نسابة قال : ذاك علم لا ينفع من تعلمه ولا يضر من جهل به . . " هناك علم ضار ، وهناك علم لا ينفع ولا يضر ، وهناك علم نافع ، فالنبي عليه الصلاة والسلام إذا تحدّث عن العلم ، وإذا وردت كلمة العلم في القرآن الكريم فإنما تعني العلم النافع ، أي العلم الذي يقوم سلوكك ، أي العلم الذي يسهم في سمو نفسك ، أي العلم الذي يكون سلاحاً لك ، العلم الذي يكون حصناً لك ، العلم الذي يُنير لك الطريق ، العلم الذي يدلّك على الخير ، العلم الذي يدلّك على سرّ وجودك ، على حقيقة وجودك ، وعلى هدفك الكبير ، هذا هو العلم النافع .

أيها الأخوة الأكارم ؛ أيّ علمٍ مُمتع ، أيّ علمٍ من دون استثناء ، طبيعة المعرفة ممّعة ، أيّ علمٍ مُمتع ، وهناك علمٌ نافعٌ ممّع ، ولكن العلم بالله عز وجل ، والعلم بشرعه إنه علمٌ نافعٌ ممّعٌ مُسعد ، فعليك بالعلم ، وما خطبة الجمعة التي هي فريضة في الدين الإسلامي إلا عبادة تعلم ، كلّ مسلم مفروض عليه أن يحضر خطبة الجمعة ليتعلم ، لأن العلم أساس العمل ، وإذا أردت الدنيا فعليك بالعلم ، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم ، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم ، ورتبة العلم أعلى الرتب ، وأنت بالعلم إنسانٌ آخر ، بالعلم تتأكّد فيك إنسانيتك ، ولكن المال إذا كثر بين يديك ، وأنفقتة كما تشتهي ، فقد تأكّدت فيك شهوانيتك ، وفرقٌ كبير بين شيء يؤكّد إنسانيتك وشيء يؤكّد شهوانيتك .

أيها الأخوة الأكارم ؛ يقول عليه الصلاة و السلام فيما رواه الحكيم عن ابن عباس:

((عَلَيْكَ بِالْعِلْمِ))

[أخرجه السيوطي ، والحكيم عن ابن عباس]

والعلم له مَقَرٌّ ، وله مكان ، وإنَّ بيوتِي في الأرض المساجد ، وإنَّ زوَّارها هم عُمَّارها ، العلم النافع ، والعلم الذي يعرِّفك بنفسِكَ ، وبحقيقتِهِ وُجودِكَ ، يُعرِّفُكَ بِفِلسَفةِ الكون ، وبحقيقتِهِ الكون ، بسرِّ وُجودِ الإنسانِ في الحياة ، وبحقيقتِهِ الحياة ، وبِمَا قَبْلَ الحياة ، وبِمَا بَعْدَ الحياة ، بالمنهج التفصيلي الذي إذا سِرْتَ عليه سَعِدْتَ في الدنيا والآخرة ، إنَّ هذا العِلْمَ لا تَجِدُهُ في أماكن العلم الذي تَبْحَثُ عنه لِيَرْتَفِعَ اسمُ العَالِمِ ، أو لِيَكْثُرَ مالُهُ ، بل تَجِدُهُ هذا العلم في بيوتِ الله التي مَحْوَرُ العلم فيها كَلامُ الله عز وجل ، وسنَّةُ رسوله صلى الله عليه وسلَّم .

العلم خليل المؤمن :

يقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه الحكيم عن ابن عباس :

((عَلَيْكَ بِالْعِلْمِ ؛ فَإِنَّ الْعِلْمَ خَلِيلُ الْمُؤْمِنِ))

[أخرجه السيوطي ، والحكيم عن ابن عباس]

الخليل أقربُ شيءٍ للإنسان ، فلان خليلي ، هناك صديق ، وهناك قريب ، وهناك جار ، وهناك صاحب ، وهناك زميل ، وهناك رفيق ، ولكنَّ أَمْتَنُ عَلاقةٍ بينَ اثْنَيْنِ ، أَمْتَنُ اتِّصَالٍ بينَ شَخْصَيْنِ ، أَمْتَنُ مشاعرٍ بينَ رجلين ، علاقةُ الخُلَّةِ ، وقد قال عليه الصلاة والسلام: " لو كنت مُتَّخِذًا من العباد خَلِيلًا لكان أبو بكر خليلي " حسبُ المؤمن أنَّ العِلْمَ خليلُهُ ، ينأى عن العِلْمِ ، ويستيقظُ على العلم ، وأمام كلِّ موقفٍ يسألُ نفسه ؛ ما حُكْمُ اله في هذا ؟ وما حكم الشرع في هذا ؟ وهل هذا صواب ؟ وهل هذا خطأ ؟ وهل هذا صحيح ؟ وهل هذا حقٌّ أم هو باطل ؟ وهل هذا خير أم شرٌّ ؟ دائماً وأبداً يتحرَّى الحقيقة ، دائماً وأبداً يتحرَّى أمر الله عز وجل ، دائماً وأبداً يتحرَّى شرع الله عز وجل ، لذلك هو في نشاطٍ مستمرٍّ ، الإنسان أيُّها الأخوة له جانبٌ عقليٌّ ، وجانبٌ نفسي ، وجانبٌ جسمي ، وجانبٌ ماديٌّ ، العقلُ غِذاءُ العلم ، والنشاطُ العلمي في المؤمن نشاطٌ مستمرٌّ ، لذلك من بركة الإيمان على المؤمن أنَّ المؤمن لا يخرف ، ولماذا لا يخرف ؟ لأنَّ عقله في نشاطٍ مستمرٍّ ، والعضو الذي يعمل لا يضمُر ، هذه حقيقةٌ أقرَّ بها علماء الطبِّ ، من تُكسِرُ يده ويوضعُ عليها الجبسُ أشهرًا طويلة تَرى أنَّ العضلات ضمُرَتْ ، وقد نَحَلَّتْ ، هذه قاعدة ، فالذي يُصَلِّي كلَّ يومٍ خمسَ مرَّاتٍ ، ويقرأُ الفاتحة وسورة ، ويركع ويسجد ، ويحاسب نفسه كم ركعة صلَّيت ، والذي يقرأ القرآن ، والذي يستمعُ إلى خطبة الجمعة ، أو إلى درس علم هو في نشاطٍ علميٍّ مستمرٍّ ، ومن تعلَّم القرآن متَّعَهُ اللهُ بعقله حتى يموت ، فالذي يطلبُ العلم ، طلبُ العلم زكاةُ عقلِ الإنسان ، وما دام طالبًا للعلم ، فإنَّ الله سبحانه وتعالى تكفَّلَ له أن يمَّعَهُ بعقله حتى يموت ، من تعلَّم القرآن متَّعَهُ اللهُ بعقله حتى يموت ، العلم خليل المؤمن ، أي أمتَّعُ شيءٍ في حياته أن يفهم كلام الله ، أن يقف على أسرار القرآن ، أن يقف على دِقَّةِ كلام الرحمن ، أن يفهم سنَّةَ النبي العدنان ، أن يعرف في هذا الموقف ماذا ينبغي ؟ وماذا يجبُ ؟ وما الذي يُرضي الله عز وجل ؟ وما الذي يُرضي رسوله ؟ وهل هذا الموقف كاملٌ أم ناقصٌ ؟ حقٌّ أم

باطل؟ خير أم شر؟ هذا النشاط الفكري ، وهذا الطلب الحثيث للعلم هو الذي يرفع قيمة الإنسان ، فإذا ترك العلم ، وإذا ترك العمل به ، وإذا عاش لشهواته وحُطوط نفسه فقد هبط إلى مستوى البهيمة ، وفي الإنسان نوازع غريزية فإذا لبأها من دون علم ، أي اتبع هواه بغير هدى من الله ، أي استجاب لنداء غريزته من دون أن يُقيم هذه الغريزة في أمر الله عز وجل ، أو في شرعه ، فالعلم خليل المؤمن ، وعلاقة الخلّة هي أمتنّ علاقة بين شخصين ، العلم خليله . هذا العلم لا شك أنه ينعكس حلماً ، وتؤدّة ، وتوازناً ، واعتدالاً ، وسكينة ، ووقاراً ، هذا منعكس العلم ، العلم ليس هدفاً بذاته ، وهذه حقيقة كبرى ؛ العلم ليس هدفاً بذاته ، تعلّموا ما سنّتم فوالله لن تُوجروا حتى تعملوا بما علمتم ، العلم من أجل أن تعمل به ، بل إن بعضهم يقول: العلم ما عمل به ، فإن لم يُعمل به كان الجهل أفضل منه ، لأنّ الجاهل يبحث عن الحقيقة ، فيه صفة طلب العلم ، أما الذي تعلّم ولم يعمل ، فقد هبط عن مستوى الجاهل ، بل إن إثمهُ عند الله كبير ، العلم ما عمل به ، فإن لم يُعمل به كان الجهل أفضل منه ، قال :

وعالمٌ بعلمه لم يعملنْ مُعذّب من قبل عبّاد الوثن

تعلّموا ما سنّتم فوالله لن تُوجروا حتى تعملوا بما علمتم ، العلم شيءٌ كامنٌ إن رأيتَ عالماً ، لا ترى علمه بعينك ، ولكن ترى سمته الحسن ، ترى حلمه ، ترى موقفه المتوازن ، ترى هُدوءه ، ترى رحمته ، ترى ورعه ، ترى خشيتَهُ ، ترى حبه ، ترى دمعته ، هذا الذي تراه من أثر العلم .

الحلم وزير المؤمن و العقل أداة معرفته :

يقول عليه الصلاة و السلام فيما رواه الحكيم عن ابن عباس :

((عَلَيْكَ بِالْعِلْمِ ؛ فَإِنَّ الْعِلْمَ خَلِيلُ الْمُؤْمِنِ ، وَالْحِلْمُ وَزِيرُهُ))

[أخرجه السيوطي ، والحكيم عن ابن عباس]

الحلم وزير المؤمن ، مرافق له دائماً ، كاد الحليم أن يكون نبياً ، الحلم سيّد الأخلاق ، يمكن أن تُجمَع أخلاقٌ كثيرة بصفة الحلم ، مثلاً المروءة تجمع صفات كثيرة ؛ من كرم ، إلى شجاعة ، إلى رحمة ، إلى إنصاف ، إلى إقدام ، إلى إغاثة لمهوف ، كلّ هذه الصفات يمكن أن تُجمَع في كلمة مروءة ، والخفة ، والدناءة ، والشح ، والجبن ، والأنانية ، كلّها يمكن أن تُجمَع في كلمة اللؤم .

فلذلك قال عليه الصلاة و السلام فيما رواه الحكيم عن ابن عباس :

((عَلَيْكَ بِالْعِلْمِ ؛ فَإِنَّ الْعِلْمَ خَلِيلُ الْمُؤْمِنِ ، وَالْحِلْمُ وَزِيرُهُ ، وَالْعَقْلُ دَلِيلُهُ))

[أخرجه السيوطي ، والحكيم عن ابن عباس]

العقل أداة المعرفة ، قال تعالى : " والسماء رفعها ووضع الميزان . . " أودع الله فيك ميزاناً دقيقاً ، لم لا تستعمله ؟ إن آية مشكلة تقع فيها ، إن السؤال الوحيد الذي يُسألُه الإنسان يوم القيامة : أين

عقلك؟ لم تستعمل هذه الجوهرة؟ العقل أيها الأخوة أصل في النقل، وبالعقل تعرف صحة النقل، وبالعقل تفهم حقيقة النقل، والعقل والنقل متكاملان .
 ما رأيت شيئاً أمر به النبي عليه الصلاة والسلام ورأيت العقل ينهى عنه، وما رأيت شيئاً نهى عنه النبي عليه الصلاة والسلام ورأيت العقل يأمر به، قال تعالى: " والسماء رفعها ووضع الميزان . . ." وعقلك ميزان، والشريعة ميزان، بل إن الشريعة ميزان على ميزان عقلك، فأينما تحرك عقلك ووصل إلى حكم مطابق للشريعة، فأنجم به من عقل، وحيثما جاء عقلك بحكم يخالف الشريعة، فبئس هذا العقل، قال تعالى: إنه فكر . . . سحر يؤثر . . . صقر . . .

فائدة العلم تكون بالممارسة و التطبيق :

أيها الأخوة الأكارم؛ يقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه الحكيم عن ابن عباس:
((عَلَيْكَ بِالْعِلْمِ ؛ فَإِنَّ الْعِلْمَ خَلِيلُ الْمُؤْمِنِ ، وَالْحِلْمُ وَزِيرُهُ ، وَالْعَقْلُ دَلِيلُهُ ، وَالْعَمَلُ قِيمُهُ))
 [أخرجه السيوطي، والحكيم عن ابن عباس]
 أي أن العلم لا يأخذ قيمة إلا بالتطبيق والعمل، لا يأخذ العلم بعده الحقيقي إلا إذا ترجم إلى عمل، إلا إذا ترجم إلى سلوك، إلا إذا ترجم إلى واقع، إلا إذا ترجم إلى أخلاق، إلا إذا ترجم إلى مظاهر مادية، لا يأخذ العلم أبعاده الحقيقية، ولا صفته المثالية، ولا حجمه الحقيقي، ولا فائدته العميمة في المجتمع إلا إذا مارسناه، وعشناه، وطبقناه، وتعاملنا به .

الدين علمٌ وحلمٌ وعقلٌ وعملٌ ورفقٌ ولينٌ وصبرٌ :

يقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه الحكيم عن ابن عباس:
((عَلَيْكَ بِالْعِلْمِ ؛ فَإِنَّ الْعِلْمَ خَلِيلُ الْمُؤْمِنِ ، وَالْحِلْمُ وَزِيرُهُ ، وَالْعَقْلُ دَلِيلُهُ ، وَالْعَمَلُ قِيمُهُ ، وَالرَّفِقُ أَبُوهُ))
 [أخرجه السيوطي، والحكيم عن ابن عباس]
 لا يكون الرفق في شيء إلا زانه، ولا يزرع من شيء إلا شاناه، علموا ولا تعنفوا فإن المعلم خير من المعنف، يقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه الحكيم عن ابن عباس:
((عَلَيْكَ بِالْعِلْمِ ؛ فَإِنَّ الْعِلْمَ خَلِيلُ الْمُؤْمِنِ ، وَالْحِلْمُ وَزِيرُهُ ، وَالْعَقْلُ دَلِيلُهُ ، وَالْعَمَلُ قِيمُهُ ، وَالرَّفِقُ أَبُوهُ ، وَاللَّيْنُ أَخُوهُ ، وَالصَّبْرُ أَمِيرُ جُنُودِهِ))

[أخرجه السيوطي، والحكيم عن ابن عباس]
 أيها الأخوة الأكارم؛ الإمام الغزالي يقول: من ثمرات العلم خشية الله تعالى، ما لم تكن هناك خشية ففي العلم خللٌ خطير، ما لم يكن هناك طاعة الله عز وجل ففي العلم نقصٌ كبير، ما لم يكن هناك حب له عز وجل ففي العلم انحرافٌ بين .
 أيها الأخوة المؤمنون، يقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه الحكيم عن ابن عباس:

((عَلَيْكَ بِالْعِلْمِ ؛ فَإِنَّ الْعِلْمَ خَلِيلُ الْمُؤْمِنِ وَالْحِلْمُ وَزِيرُهُ ، وَالْعَقْلُ دَلِيلُهُ ، وَالْعَمَلُ قِيَمُهُ ، وَالرِّفْقُ
أَبُوهُ ، وَاللِّينُ أَخُوهُ ، وَالصَّبْرُ أَمِيرُ جُنُودِهِ))

[أخرجه السيوطي ، والحكيم عن ابن عباس]

هذا الحديث الشريف رواه الحكيم الترمذي عن ابن عباس قال : كُنْتُ رَفِيقًا يَوْمًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ؟ قُلْتُ : بَلَى ، فَذَكَرَ هَذَا الْحَدِيثَ ؛ عِلْمٌ ، وَحِلْمٌ ، وَعَقْلٌ ، وَعَمَلٌ ، وَرِفْقٌ ، وَلِينٌ ، وَصَبْرٌ ، هَذَا هُوَ الدِّينُ ، وَهَذِهِ حَقِيقَةُ الْمُؤْمِنِ .

طاعة الله هي المقياس الوحيد لكل سعادة و خير :

ويقول عليه الصلاة والسلام فيما روي عن أبي سعيد :

((عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ! فَإِنَّهَا جَمَاعُ كُلِّ خَيْرٍ ، وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ الْمُسْلِمِينَ ، وَعَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ وَتِلَاوَةِ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ نُورٌ لَكَ فِي الْأَرْضِ ، وَذِكْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ ، وَآخِزْنَ لِسَانِكَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ ، فَإِنَّكَ بِذَلِكَ تَغْلِبُ الشَّيْطَانَ))

[أخرجه ابن الضريس عن أبي سعيد]

أَيُّ الْخَيْرِ كُلَّهُ ، وَالسَّعَادَةُ كُلُّهَا ، وَالْفَوْزُ كُلَّهُ ، وَالْفَلَاحُ كُلَّهُ ، وَالنَّجَاحُ كُلَّهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَهِيَ الْمَقْيَاسُ الْوَحِيدُ ، وَأَيُّ شَيْءٍ كَانَ مِنْ دُونِ تَقْوَى اللَّهِ فَهُوَ لَا قِيَمَةَ لَهُ ، لِذَلِكَ حِينَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : " إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَّكُمْ . . " أَيُّ لَا تَحْتَلِّ عِنْدَ اللَّهِ مَكَانَةً عَلِيَّةً ، وَلَا تَرْتَقِي إِلَى دَرَجَةٍ عَالِيَةٍ ، وَلَنْ تَكُونَ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ ، وَلَنْ تَكُونَ فِي الْمَكَانِ الصَّحِيحِ إِلَّا إِذَا كُنْتَ عَلَى الطَّاعَةِ ، لِذَلِكَ لَمَّا الْإِمَامُ الْجَنِيدُ سَأَلَ : مَنْ هُوَ وَلِيُّ اللَّهِ ؟ أَهُوَ الَّذِي يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ ؟! قَالَ : لَا ، قِيلَ : أَهُوَ الَّذِي يَطِيرُ فِي الْهَوَاءِ ؟! قَالَ : لَا ، وَأَجَابَ إِجَابَةً مُفْهِمَةً ، قَالَ : الْوَلِيُّ كُلُّ الْوَلِيِّ هُوَ الَّذِي تَجِدُهُ عِنْدَ الْحَلَالِ أَوْ الْحَرَامِ ، دَعَاكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فِي الدِّينِ ، دَعَاكَ مِنْ كُلِّ مَظَاهِرِهِ ، دَعَاكَ مِنْ كُلِّ مَظَاهِرِهِ الَّتِي يَزْهَى بِهَا النَّاسُ ، وَاعْلَمْ أَنَّ جَوْهَرَ الدِّينِ طَاعَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَقَدْ كُنْتُ أَذْكَرُ لَكُمْ دَائِمًا قِصَّةَ هَذَا الْبَدَوِيِّ ، هَذَا الرَّاعِي الَّذِي أَرَادَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَنْ يَمْتَحِنَهُ ، فَقَالَ : بَعْنِي هَذِهِ الشَّاةُ ؟ قَالَ : لَيْسَتْ لِي ، قَالَ : خُذْ ثَمْنَهَا ، قَالَ : لَيْسَتْ لِي ، قَالَ : قُلْ لِصَاحِبِهَا مَا تَنْتُ أَوْ أَكَلَهَا الذَّنْبُ ! عِنْدَئِذٍ قَالَ هَذَا الرَّاعِي : وَاللَّهِ إِنَّنِي لَفِي أَشَدِّ الْحَاجَةِ إِلَى ثَمْنِهَا ، وَلَوْ قُلْتُ لِصَاحِبِهَا مَا تَنْتُ أَوْ أَكَلَهَا الذَّنْبُ لَصَدَّقْتَنِي فَإِنِّي عِنْدَهُ صَادِقٌ أَمِينٌ ، وَلَكِنْ أَيْنَ اللَّهُ ؟! هَذَا الرَّاعِي وَضَعَ يَدَهُ عَلَى جَوْهَرِ الدِّينِ كُلِّهِ ، الدِّينِ كُلِّهِ طَاعَةَ اللَّهِ ، الدِّينِ كُلِّهِ اسْتِقَامَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ ، الدِّينِ كُلِّهِ وَرَعٌ ، وَخَوْفٌ مِنَ الْحَرَامِ ، هَذَا هُوَ الدِّينُ ، وَمَا سِوَى الطَّاعَةِ أَشْيَاءٌ كَثِيرَةٌ يَزْهَى بِهَا النَّاسُ أَحْيَانًا ، وَلَكِنَّهَا لَا تُقَدِّمُ وَلَا تُؤَخِّرُ .

أيها الأخوة الأكارم ؛ يقول عليه الصلاة والسلام فيما روي عن أبي سعيد :

((عليك بتقوى الله فإنها جماع كل خير ، و عليك بالجهاد فإنه رهبانية المسلمين، و عليك بذكر الله و تلاوة كتاب الله تعالى فإنه نور لك في الأرض و ذكر لك في السماء ، و اخزن لسانك إلا من خير ، فإنك بذلك تغلب الشيطان))

[أخرجه ابن الضريس عن أبي سعيد]

لا تستطيع ان تتقي الله و أنت تتحرك مع شهواتك ، لن تستطيع أن تتقي الله و أنت تعطي نفسك ما تشتهي ، لن تستطيع أن تتقي الله عز وجل و أنت تؤثر مصالحك على كل شيء، هذا الذي يؤثر مصالحةً ، و حطوط نفسه ، و شهواته ، و رغباته ، لن يستطيع أن يتقي الله عز وجل ، لذلك قال عليه الصلاة والسلام :

((عليك بتقوى الله فإنها جماع كل خير ، و عليك بالجهاد فإنه رهبانية المسلمين، و عليك بذكر الله و تلاوة كتاب الله تعالى فإنه نور لك في الأرض و ذكر لك في السماء ، و اخزن لسانك إلا من خير ، فإنك بذلك تغلب الشيطان))

[أخرجه ابن الضريس عن أبي سعيد]

ضبط اللسان شرط أساسي للاتصال بالله عز وجل :

إذا كنت في ندوة ، أو في سهرة ، أو في لقاء ، أو في رحلة ، إذا كنت مع أهلك، مع أقبائك ، مع جيرانك ، مع أصدقائك ، مع شركاء عملك ، و أطلقت اللسان فيما ينبغي وما لا ينبغي ، تحدثت عن زيد أو عبيد ، هجوت فلاناً أو علاناً ، أطلقت اللسان كما تحب ، و كما تشتهي ، ما الذي يحصل ؟ الذي يحصل أنك بهذا الكلام غير المسؤول ، غير المنضبط ، تتبعد عن الله عز وجل ، و تحجب عن الله عز وجل ، و يأتي الشيطان فيتغلب عليك ، من هذا الذي يتمكن أن يحافظ على الصلة بالله عز وجل ؟ هو ذلك الذي يخزن لسانه ، و اخزن لسانك إلا من خير ، أمر بمعروف ، و نهى عن منكر ، دعوة إلى الله ، بيان لأية محكمة ، بيان لحديث صحيح شريف ، قصة عن صحابي جليل ، موعظة ، عبرة ، هكذا أما الغيبة و النميمة ، و الإفك و البهتان ، و السخرية و التجريح و التقريع ، و الفحش و البذاءة ، و السباب و الغمز و اللمز ، هذا كله من عمل الشيطان ، حينما تطلق اللسان فيما لا يرضي الله عز وجل تغلب عليك الشيطان ، و أوقعك في شياكه ، و جعلك بعيداً عن الله عز وجل ، بعيداً بعد الأرض عن السماء ، لأن المعصية حجاب . أيها الأخوة الأكارم ؛ لن تستطيع المحافظة على تألقك ، لن تستطيع المحافظة على اتصالك بالله ، لن تستطيع أن تحافظ على الإقبال عليه ، لن تستطيع أن تشعر أن الله راض عنك إلا إذا ضبطت لسانك ، و إلا إذا عرفت ما ينبغي أن يقال ، و ما ينبغي ألا يقال ، إلا إذا عرفت ماذا يرضي الله من كلامك ؟ و ماذا يغضبه من كلامك ؟ و كما ورد في بعض الأحاديث الشريفة ، يقول النبي عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه أن سيدنا داود قال : " يا رب أي عبادك أحب إليك حتى أحبه بحبك ؟ قال : يا داود أحب العباد إليّ تقيّ اليدين ، نقي القلب لا يمشي إلى

أحدٍ بسوء ، أحببني وأحب من أحببني ، وحببني إلى خلقي " بلسانك لو ذكرت بعض المصائب ، وبالغت بها ، وغفلت عن حكمة الله ، غفلت عن عدالته ، أنت بهذا نفرت الناس من الله عز وجل ، لو ذكرت قصة لا أصل لها مفادها أن هناك ظلماً كبيراً ، إن هذه القصص غير المسؤولة ، غير الصحيحة ، غير الواقعية ، ربما نفرت الناس من الله عز وجل ، قال : أحب العباد إليّ تقيّ اليدين ، نقي القلب لا يمشي إلى أحدٍ بسوء ، أحببني وأحب من أحببني ، وحببني إلى خلقي ، بينت لهم بعض الحكم ، بينت لهم بعض الأشياء التي ترضي العبد عن ربه عز وجل ، ألم أقل لكم من قبل أن رجلاً كان يطوف حول الكعبة وكان خلفه الإمام الشافعي ، وهو يقول : يا رب هل رضيت عني فأبشّر نفسي ؟ فقال الإمام الشافعي : وهل رضيت أنت عنه ؟ قال : من أنت يرحمك الله ؟ قال : أنا محمد بن إدريس ، قال : وكيف أرضى عنه وأنا أتمنى رضاه ؟ فقال الإمام الشافعي : إذا كان سرورك بالنقمة كسرورك بالنعمة فقد رضيت عن الله .

أيها الأخوة الكرام ، عليك بتقوى الله ! فإنها جماع كل خير ، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية المسلمين ، وعليك بذكر الله وتلاوة كتاب الله تعالى قال تعالى : " واذكر اسم ربك وتبذل إليه تبتيلاً "

((فإنه نور لك في الأرض وذكر لك في السماء ، واخزن لسانك إلا من خير ، فإنك بذلك تغلب

((الشيطان))

[أخرجه ابن الضريس عن أبي سعيد]

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيخطى غيرنا إلينا فننخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني .

* * *

الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صاحب الخلق العظيم ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

كثرة السجود :

أيها الأخوة الأكارم ؛ روى مسلم عن ربيعة بن كعب الأسلمي قال : ((كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيتُه بوضوءه - أي الماء الذي يتوضأ منه - وحاجته فقال لي : سل ؟ - أي النبي عليه الصلاة والسلام رأى هذه الخدمة ديناً عليه فأراد أن يكافئه ، وقد قال في حديث آخر : من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه - فقلت : أمهني يا رسول الله ؟ فأمهله النبي عليه الصلاة والسلام أياماً ، قال : يا ربيعة سئني حاجتك؟ فقال ربيعة رضي الله عنه فقلت : أسألك مرافقتك في الجنة ، قال : من علمك هذا ؟ قال : والله ما علمني

أحد ولكن رأيت كل شيء يفنى وأنت في أعلى عليين فرأيت أن أرافك في الجنة ، قال : أو غير ذلك ؟ - أتريد شيئاً غير ذلك ؟ - قلت : هو ذلك - أي لا أريد غيره - قال : فأعني على نفسك بكثرة السجود))

[مسلم عن ربيعة بن كعب الأسلمي]

لن تكون في أعلى عليين ، ولن ترافق النبيين إلا إذا كنت قريباً من الله ، إذا كنت قريباً من الله كنت مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

والسجود هنا الصلاة ، وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد

((قال : فأعني على نفسك بكثرة السجود))

مثلاً لو أن رجلاً غنياً قال لابنه : أطلب يا بني وتمنى ، فقال هذا الابن : أريد مركبة ، القضية سهلة ، وأريد بيتاً ، وأريد كذا وكذا ، ولكن إذا قال هذا الابن لأبيه الغني : أريد أن أكون أستاذاً في الجامعة !! يقول له : هذه ليست لي ، هذه بجهدك ، لا تنالها إلا بجهدك ، لو طلب هذا الطالب لأحاله أبوه إلى نفسه ، هذه لن تكون إلا بجهدك .

ضربت هذا المثل لأبين لكم أنك إذا أردت مكاناً علياً عند الله عز وجل هذا لا بد له من ثمن ، وثمانه طاعة الله عز وجل ، وثمانه مجاهدة النفس والهوى ، وثمانه أن تكون في المستوى الذي يرضي الله عز وجل ، وهذا يحتاج إلى جهد ، لذلك قالوا : أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فقال النبي الكريم لسيدنا ربيعة :

((أعني على نفسك بكثرة السجود))

أي لن تكون مرافقاً لي في الجنة إلا إذا كانت نفسك في المستوى المطلوب ، وطريق القربى والزلفى إلى الله عز وجل هو كثرة السجود .

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي بالحق ولا يقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت ، ولك الحمد على ما قضيت ، نستغفرك ونتوب إليك ، اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك . اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلغنا بها جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، ومتعنا اللهم بأسماعنا ، وأبصارنا ، وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا ، مولانا رب العالمين . اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وديننا الذي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا ، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير ، واجعل الموت راحة لنا

من كل شر ، مولانا رب العالمين . اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عن سواك . اللهم لا تؤمنا مكره ، ولا تهتك عنا سترك ، ولا تتسنا ذكرك يا رب العالمين . اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ، وآمنا في أوطاننا ، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رخياً وسائر بلاد المسلمين . اللهم إنا نعوذ بك من الخوف إلا منك ، ومن الفقر إلا إليك ، ومن الذل إلا لك ، نعوذ بك من عضال الداء ، ومن شماتة الأعداء ، ومن السلب بعد العطاء . اللهم ما رزقتنا مما نحب فاجعله عوناً لنا فيما نحب ، وما زويت عنا ما نحب فاجعله فراغاً لنا فيما نحب . اللهم صن وجوهنا باليسار ، ولا تبدلها بالإقتار ، فانسأ شرّ خلقك ، ونبتل بحمد من أعطى ، وذم من منع ، وأنت من فوقهم ولي العطاء ، ويبيدك وحدك خزائن الأرض والسماء . اللهم كما أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم فأقرر أعيننا من رضوانك يا رب العالمين . اللهم بفضلك وبرحمتك أعل كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين، وخذ بيد ولائهم إلى ما تحب وترضى ، إنك على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين